حقوق المرأة

غير مساواتها للرجل

المرأة خُلقت امرأة والرجل خلق رجلاً . فليس هنا وجه للمفاضلة ولا وجه للمقابلة أو للمساواة ولا القول أن المرأة كالرجل أو أن الرجل كالمرأة . وإنما للمرأة حقوق تمتاز بها على الرجل أو تختلف عنه ولكنها حقوق لم تحصل عليها . ولو أعطيت المرأة كل حقوقها لفاز الرجل بالقسم الأعظم من الراحة ، والهناء ، والسعادة ، مما لم يفز به إلا قليلا . ذلك لأن المرأة التي تعرف حقوقها هي المرأة التي تعرف واجباتها جيداً . والمرأة التي تحصل على جميع حقوقها تعرف أن تقوم بجميع واجباتها . ولكن من هو الذي يعطي المرأة حقوقها وأين هو ؟ هل سمعت أن حقاً أعطي لصاحبه عفواً من غير أن يجهد صاحبه في الحصول عليه ، وقد قيل القول الحق : « الحق يؤخذ ولا يعطى » . فلا تعجب أن ترى ثورة من السيدات لأجل حقوقهن ومن يأخذ الحق إلا القوي سواء كان صاحبه أو مغتصبه ...

مرّ وقت طويل والرجل والمرأة يشقيان بسبب الجهل العميق الذي أذن للقوة العضلية ، والحرية الجسدية أن يفوّقا الرجل على المرأة . ونفس هذا التفوق خوّل الرجل أن يتعلم العلم ناقصاً فجعله يفهم حقه ولا يفهم حقها ، ويفهم واجبها ولا يفهم واجبه . فاختلّ الميزان بينهما ورجح هو عليها . وقام في يقينه أن الرجل أفضل من المرأة ، وأن المرأة ليست إلا متعة للرجل . ولذلك شاعت في العالم فكرة أن المرأة التي ولدت موسى ، وعيسى ، ومحمد ، وجميع الأنبياء ، والرسل ، والعظماء ، والمعلمين ، إنما هي أحط من الرجل ، وإن كانت قد ولدت هؤلاء العظماء ، وما أوجد هؤلاء لعظماء إلا الظروف لا الأمهات : هذا ما هو في يقين الجمهور . ولكن لم يخطر في بال العوام حتى ولا الخواص ، إنه لو كانت الأمهات مثقفات ثقافات تامة لكثر المصلحون . وكان الصالحون الجانب الأعظم من الناس ، وكان الناس أكثر إذعاناً للمصلحين .

وأما الآن فلا يذعن لهم إلا القلة . لأن معظم الأمهات جاهلات ، فيأتي معظم البنين جاهلين

والآن وقد وصلنا الى الوقت الذي سمحا فيه الوجدان القومي ، أو الوعي القومي كما يقولون فقد بدأت المرأة تتعلم ثم بدأت تعرف واجباتها كما تعرف حقوقها فما الذي يمنع أن تتمتع بحقوقها كما صارت تقوم بواجباتها .

لا أنكر أن عدداً كبيراً منهن لم يزلن جاهلات ولذلك يجهلن واجباتهن ، كما يجهلن حقوقهن . ولكن هذا لا يسوغ للرجل أن يهضم المرأة حقوقها . ولا سيما لأنه لم ينل القسط الحالي من الثقافة الذي يخوله حق الإستقلال والاستئثار بمعونة المرأة وأن يكون له كل الحق بالتمتع بكل حقوقه واحتقار حقوقها . واذا كان الوجدان النسوي لا يزال متأخراً في فهم حقوقه الطبيعية وواجباته فلأنه لم يتثقف الثقافة اللازمة . ولذلك لا يجوز أن تبقى النساء جاهلات لكيلا تبقى المرأة محرومة هذا الحق . ولكيلا يحصل تقصير في تثقيف الناشئة الجديدة . يجب أن تعطى السيدات كل حقوقهن الثقافية لكي ينشئن النشء الحديث المتأهب لتولي شؤون الجيل الجديد . فتكون الأمة في وضع من الحرية والسعادة أفضل . فإن كانت تنشئة الجيل الجديد تقع على الرجال فقط تبقى ناقصة . فتربية الجيل واجب على المرأة أولاً . وواجب الرجل معلوم ، هو غير ما يجب على المرأة . وقد عرف الأميركان والانكليز هذه الحقيقة فجعلوا التعليم الأولي في أيدي المعلمات لا المعلمين .

والآن وقد فهم عقلاء الرجال عندنا أن المرأة ليست دون الرجال في الأهمية وان لها حقوقاً لا تقل قيمة عن حقوق الرجل ، قاموا ينصرونها في المطالبة بحقها السياسي أيضاً . ولا ينكر عليها هذا الحق إلا المتقهقرون الرجعيون الجهلة الضعفاء فهم يجهلون أن مساواة المرأة بالرجل في الحق السياسي تزيد رفاهية الرجل وسعادته اذا كانوا يستبصرون . وما من شخص رجلاً كان أو امرأة اذا كان مثقفاً ثقافة عالية ألا يعرف أن الحق والواجب صنوان متلازمان متعاونان ، فمن يعرف الواجب يعرف الحق . ومن يعرف كيف يأخذ يعرف كيف يعطي . إذن لماذا تخاف أيها الرجل من امتلاك المرأة حق مساواتها السياسية بك ؟ ان الرجل المثقف القوي لا يخاف هذا الحق ، ولا يخافه إلا الضعيف .

الغريب العجيب الذي لا نستطيع فهمه وتعليله ان سيدة مثقفة ثقافة عالية يحرمها الدستور ان تعطي صوتها في الانتخاب ويمنح خادمها الجاهل الأمي أن يعطي صوته . ان هذا من سخرية الأنظمة الاجتماعية التي اذا لم يضحك علينا فيها الامم الراقية فسيضحك عليها بها أطفالنا متى صاروا رجالاً .

نعم ان عمل المرأة في بيتها ، والرجل ينحصر عمله في معمله أو تجارته أو أي مرفق يرتزق منه . ولكن اذا كان عمل الرجل لا يمنعه أن ينتخب وان يحضر البرلمان فعمل المرأة لا يمنعها أن تنتخب وان تحضر البرلمان أيضاً . وهو أكثر اشغالاً منها .

أليس أفضل للرجل أن يرى زوجته تساعده في تفكيره ورأيه وتدبيره من أن تطالبه بالفستان والحلي والزيارات التي لا طائل تحتها إلا القهار والمزاح والهزار .

ولقد كتبت عن المرأة وحقوقها في مجلتي بجانب السيدات والرجال أيضاً ، وكنا في ذلك الحين نشكو من قلة الحكومة في تعليم البنات وتثقيفهن . وأما الآن فقد وفر تعليم المرأة وتخرج كثير من الفتيات وأصبح عندنا عدد عظيم من المثقفات ، لكن لم نلتفت الى حق المرأة في التصويت للنواب والشيوخ . وقد يقال ان الجاهلات كثيرات جداً والمثقفات بالنسبة لهن معدودات . وهذا يقال عن الرجال أيضاً فان الجاهلين منهم أكثر من أن يعدوا . فاذا كان الجهل مانعاً من التصويت فان ٩٠ بالمئة من الرجال لا يحق لهم التصويت . رحم الله القائد الزعيم حسني الزعيم الذي كانت له فضيلة منح المرأة المثقفة في سوريا حق التصويت أسوة بنساء العالم الحائزات هذا الحق . ويقال ان في سوريا نحو ٢٠٠٠٠ سيدة يلقن للتصويت . وأظن أن في القطر المصري أضعاف أضعاف هذا العدد . فمن الغبن أن يحرمن هذا الحق . فنرجو أن ترهف أقلام الكتاب للكتابة بهذا الموضوع وأن ترهف ألسنة الشيوخ والنواب لمناقشة هذا الموضوع ، لأنه كما قلنا لا يخاف من مطالبة السيدات بهذا الحق الا الضعفاء . فاذا كان عند ذوي الشأن جرأة فلا يخافون من هذا الحق للنساء .

لما كان كسرى ينفذ حكم الاعدام بحكيمه ووزيره بزرجمهر رأى بين الجمهور فتاة سافرة . فاستغرب ، لأن عهده أن النساء يكنّ بين الرجال مقنعات ، فأومأ الى أحد رجاله أن يذهب الى هذه الفتاة ويسألها : لماذا تظهر بين الرجال سافرة ؟ . فلما سألها هذا السؤال أجابت : قل لسيدك : لو كان في القوم رجال لما سفرت . . . فهل انقلبت الآية وصار الرجال ضعفاء لا يطلبون بحق السيدات خوفاً منهن . ان القوي لا يخاف ، لماذا يأبى علينا الرجال حقوقنا . فاذا كانوا يعتقدون اننا قرينا فيجب أن يسروا وأن يستعيروا بنا لا أن يظلوا يحسبوننا عبئاً عليهم . وإذا كانوا يعتقدون بصحة القول : الجنة تحت أقدام الأمهات ، فيجب أن يعلموا أيضاً ان الجحيم تحت أقدامهن أيضاً إذا كنّ جاهلات . فعلى رجال الدولة وأهل القول في الأمة أن يجعلوا الجنة تحت أقدام الأمهات ، وأن يولوا المرأة وظيفة تربية الناشئة أولاً . وهذا يستوجب أن يكون لها حصة وافية في تدبير شؤون الدولة

ان الأمهات أيها السادة مربيات العظماء . فاعلموا هذه الحقيقة ، ترى كم عظيم عندنا يقول ما قاله جورج واشنطن محرر أميركا حين كانوا يكرمونه : « وجهوا تكريمكم لأمي . فهي التي ربتني » . فاذا جعلتم المرأة في هذه المرتبة تكونون قد أعطيتموها المساواة فعلاً